بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٤٩ -

عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ الطَّائيُّ

رضي الله عنه

هُوَ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ بنِ عَبْدِاللَّهِ بنِ سَعْدٍ الطَّائِيُّ. وَطَيءٌ قَبِيلَةٌ يَمَانِيَّةٌ انْتَقَلَتْ إِلَى الشَّمَالِ وَاسْتَقَرَّتْ فِي مَنْطِقَةِ حَائِلٍ، ثُمَّ امْتَدَّتْ نَحْوَ الشَّرْقِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى جَنُوبِيِّ العِرَاقِ، وَاسْتَوطَنَتْ مَنْطِقَةَ الحِيرَةِ، وَاتَّخَذَ سَادَاتُهَا قُصُوراً لَهُمْ دَاخِلَ الحِيرَةِ، وَبَرَزَتْ زَعَامَتُهُمْ حَتَّى تَسَلَّمَ قُبَيْصَةُ بنُ إِيَاسٍ الطَّائِيُّ إِمْرَةَ تِلْكَ الجِهَاتِ، وَكَانَ نَائِبَ كِسْرَى عَلَى المَنْطِقَةِ وَذَلِكَ عِنْدَمَا بَدَأَ الفَتْحُ الإِسْلَامِيُّ لِلْعِرَاقِ.

كَانَ أَبُوهُ حَاتِمُ الطَّائِيُّ شَاعِراً، مَعْرُوفاً بِالجُودِ، وَقَدْ زَارَ الشَّامَ وَتَزَوَّجَ مَاوِيَةَ بِنْتَ حِجْرٍ الغَسَّانِيَّةَ، وَمَاتَ عَامَ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ أَيْ بَعْدَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَمَانِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيباً، وَكَانَ وَلَدُهُ عَدِيٌّ لَا يَزَالُ صَغِيراً.

وُلِدَ عَدِيٌّ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالخَمْسِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ أَيْ تُقَارِبُ سِنُّهُ سِنَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ بَدَأَتْ وُفُودُ القَبَائِلِ تَصِلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي المَدِينَةِ، وَتُسْلِمُ أَوْ تُصَالِحُ، وَكَانَ مِمَّنْ وَفَدَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ وَفْدُ طَيْءٍ، وَفِيهِمْ زَيْدُ الخَيْلِ، فَلَمَّا تَكَلَّمُوا عَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ. وَذَلِكَ وَقْتَ غِيَابِ عَدِيٍّ بنِ حَاتِمٍ وَهَرَبِهِ إِلَى الشَّامِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ بِفَضْلٍ ثُمَّ جَاءَنِي، إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ فِيهِ، إِلَّا زَيْدَ الخَيْلِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهِ. ثُمَّ سَمَّاهُ زَيْدَ الخَيْرِ، وَقَطَعَ لَهُ فَيْداً[1] وَأَرْضِينَ مَعَهُ، وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ رَاجِعاً إِلَى قَوْمِهِ، وَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ، وَحَرَقَتِ امْرَأَتُهُ مَا كُتِبَ لَهُ.

وَأَمَّا عَدِيٌّ فَإِنَّهُ قَدْ سَادَ قَوْمَهُ حَتَّى غَدَا كَالمَلِكِ عَلَيْهِمْ، وَدَانَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ، وَتَأَثَّرَ بِالصَّابِئَةِ فَكَانَ فِي دِيَانَةٍ مَزِيجٍ تُعْرَفُ بِـ (الرَّكُوسِيَّةِ)، وَإِنْ كَانَ يَعُدُّ نَفْسَهُ نَصْرَانِيّاً. وَكَانَ يَأْخُذُ رُبْعَ الغَنَائِمِ بِصِفَتِهِ سَيِّدَ القَوْمِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِـ (المِرْبَاعِ).

وَكَانَ عَدِيٌّ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ العَرَبِ كَانَ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ سَمِعَ بِهِ مِنِّي. أَمَّا أَنَا

---

(١) فيد: اسم مكان.

فَكُنْتُ ٱمْرَأً شَرِيفاً، وَكُنْتُ نَصْرَانِيّاً، وَكُنْتُ أَسِيرُ فِي قَوْمِي بِالمِرْبَاعِ ، فَكُنْتُ فِي نَفْسِي عَلَى دِينٍ، وَكُنْتُ مَلِكاً فِي قَوْمِي ، لِمَا كَانَ يُصْنَعُ بِي ، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَرِهْتُهُ، فَقُلْتُ لِغُلَامٍ كَانَ لِي عَرَبِيٍّ، وَكَانَ رَاعِياً لِإِبِلِي: لَا أَبَا لَكَ، أَعْدِدْ لِي مِنْ إِبِلِي أَجْمَالاً ذُلُلاً سِمَاناً، فَاحْتَبِسْهَا قَرِيباً مِنِّي، فَإِذَا سَمِعْتَ بِجَيْشٍ لِمُحَمَّدٍ قَدْ وَطِىءَ هَذِهِ البِلَادَ فَآذِنِّي، فَفَعَلَ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَانِي ذَاتَ غَدَاةٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، مَا كُنْتَ صَانِعاً إِذَا غَشِيَتْكَ خَيْلُ مُحَمَّدٍ فَاصْنَعْهُ الآنَ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَايَاتٍ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ جُيُوشُ مُحَمَّدٍ. قَالَ: فَقُلْتُ: فَقَرِّبْ لِي أَجْمَالِي فَقَرَّبَهَا، فَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي وَوَلَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْحَقُ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ ، فَسَلَكْتُ الجُوشِيَّةَ(١)، وَخَلَّفْتُ بِنْتاً لِحَاتِمٍ(٢) فِي الحَاضِرِ(٣)، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ أَقَمْتُ بِهَا(٤).

سَرِيَّةُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ:

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي شَهْرِ رَبِيعٍ

---

(١) الجوشية: طريق تعرف بهذا الاسم نسبة إلى جبل.
(٢) هي سفّانة بنت حاتم، أخته.
(٣) الحاضر: الحيّ.
(٤) سيرة ابن هشام.

الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ فِي سَرِيَّةٍ قَوامُهَا مِائَةُ رَاكِبٍ وَخَمْسُونَ فارِساً لِهَدْمِ (الفُلْسِ) صَنَمِ طَيْءٍ، فَسَارَ إِلَيْهِ وَهَدَّمَهُ وَأَحْرَقَهُ، وَلَمَّا حَارَبَ عُبَّادَهُ هَزَمَهُمْ، وَاسْتَاقَ نِعَمَهُمْ، وَشَاءَهُمْ، وَسَبْيَهُمْ، وَكَانَ فِيهِ سَفَّانَةُ بِنْتُ حَاتِمِ الطَّائِيِّ. وَلَمَّا رَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى المَدِينَةِ طَلَبَتْ سَفَّانَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهَا فَأَجَابَهَا، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ سِنَّتِهِ أَنْ يُكْرِمَ الكِرَامَ فَدَعَتْ لَهُ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهَا: «شَكَرَتْكَ يَدٌ افْتَقَرَتْ بَعْدَ غِنىً، وَلَا مَلَكَتْكَ يَدٌ اسْتَغْنَتْ بَعْدَ فَقْرٍ، وَأَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ، وَلَا جَعَلَ لَكَ إِلَى لَئِيمٍ حَاجَةً، وَلَا سَلَبَ نِعْمَةَ كَرِيمٍ إِلَّا وَجَعَلَكَ سَبَباً لِرَدِّهَا عَلَيْهِ». وَكَانَتْ هَذِهِ المُعَامَلَةُ سَبَباً فِي إِسْلَامِ أَخِيهَا عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ[1].

وَيُرْوَى أَنَّ سَفَّانَةَ جُعِلَتْ فِي حَظِيرَةٍ بِبَابِ المَسْجِدِ، كَانَتِ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ فِيهَا، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَزْلَةً، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الوَالِدُ وَغَابَ الوَافِدُ، امْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ. قَالَ: وَمَنْ وَافِدُكِ؟ قَالَتْ: عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ. قَالَ: الفَارُّ مِنَ اللَّهِ

(١) نور اليقين.

وَرَسُولِهِ؟ قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَكَنِي، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الغَدِ مَرَّ بِي، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ بِالأَمْسِ. قَالَتْ: حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ الغَدِ مَرَّ بِي وَقَدْ يَئِسْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ قُومِي فَكَلِّمِيهِ؛ قَالَتْ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الوَالِدُ، وَغَابَ الوَافِدُ، فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكِ مَنْ يَكُونُ لَكِ ثِقَةً، حَتَّى يُبَلِّغَكِ إِلَى بِلَادِكِ، ثُمَّ آذِنِينِي. فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أُكَلِّمَهُ، فَقِيلَ: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ. وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيٍّ أَوْ قُضَاعَةَ، قَالَتْ: وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِي أَخِي بِالشَّامِ. قَالَتْ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي، لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ. قَالَتْ: فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَمَلَنِي، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ. قَالَ عَدِيٌّ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَقَاعِدٌ فِي أَهْلِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى ظَعِينَةٍ تَصُوبُ[1] إِلَيَّ تَؤُمُّنَا، قَالَ: فَقُلْتُ: ابْنَةَ حَاتِمٍ. قَالَ: فَإِذَا هِيَ هِيَ، فَلَمَّا

(١) تصوب إلى: تتجه نحوي.

وَقفَتْ عَلَيَّ انْسَحلَتْ[1] تَقُولُ: القَاطِعُ الظَّالِمُ، احْتَمَلْتَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ وَتَرَكْتَ بَقِيَّةَ وَالِدِكَ، عَوْرَتَكَ! قَالَ: أَيْ أُخَيَّة، لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرَاً، فَواللَّهِ مَالِي مِنْ عُذْرٍ، لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتِ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَتْ فَأَقَامَتْ عِنْدِي، فَقُلْتُ لَهَا، وَكَانَتِ امْرَأَةً حَازِمَةً: مَاذَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَتْ: أَرَى وَاللَّهِ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ سَرِيعَاً، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيَّاً فَلِلسَّابِقِ إِلَيْهِ فَضْلُهُ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكَاً فَلَنْ تَذِلَّ فِي عِزِّ اليَمَنِ، وَأَنْتَ أَنْتَ. قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الرَّأْيَ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ؛ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَامِدٌ بِي إِلَيْهِ، إِذْ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ كَبِيرَةٌ، فَاسْتَوْقَفَتْهُ، فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلاً تُكَلِّمُهُ فِي حَاجَتِهَا؛ قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِمَلِكٍ، قَالَ: ثُمَّ مَضَى بِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ بِي بَيْتَهُ، تَنَاوَلَ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوَّةً لِيفاً، فَقَذَفَهَا إِلَيَّ، فَقَالَ: اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ، قَالَ: قُلْتُ: بَلْ

(١) انسحلت: أخذت في اللوم.

أَنْتَ فَاجْلِسْ عَلَيْهَا، فَقَالَ: بَلْ أَنْتَ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالأَرْضِ ؛ قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي، وَاللَّهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ؛ ثُمَّ قَالَ: إِيهِ يَا عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ، أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًّا؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: أَوَلَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالمِرْبَاعِ ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ، قَالَ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ، قَالَ: وَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ؛ ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّكَ يَا عَدِيُّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ المَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لاَ يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ، وَلَعَلَّكَ إِنَّما يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ القَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا البَيْتَ، لَا تَخَافُ؛ وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولٍ فِيْهِ أَنَّكَ تَرَى المُلْكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ، وَأَيْمِ اللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالقُصُورِ البِيضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَأَسْلَمْتُ.

وَكَانَ عَدِيٌّ يَقُولُ: قَدْ مَضَتِ اثْنَتَانِ وَبَقِيَتِ الثَّالِثَةُ، وَاللَّهِ لَتَكُونَنَّ، قَد رَأَيْتُ القُصُورَ البِيضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ، وَقَدْ رَأَيْتُ المَرْأَةَ تَخْرُجُ مِنَ القَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا لَا تَخَافُ حَتَّى

تَحجَّ هَذَا البَيْتَ، وَأَيْمِ اللَّهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةَ لَيَفِيضَنَّ المَالُ حَتَّى لاَ يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ(١).

أَسْلَمَ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ ، وَكَانَ قَوْمُهُ قَدْ سَبَقُوهُ، وَوَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمَدِينَةِ مَعَ زَيْدِ الخَيْرِ وَأَسْلَمُوا. فَلَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، العُمَّالَ عَلَى الصَّدَقَاتِ بَعَثَ عَدِيّاً عَلَى صَدَقَاتِ طَيْءٍ وَبَنِي أَسَدٍ.

وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَجَّةَ الوَدَاعِ ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

لَهُ عِدَّةُ أَحَادِيثَ. وَرَوَى عَنْهُ الشَّعْبِيُّ، وَمُجِلُّ بنُ خَلِيفَةَ، وَسَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وَخَيْثَمَةُ بنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ، وَتَمِيمُ بنُ طَرَفَةَ، وَعَبْدُاللَّه بنُ مَعْقِلٍ المُزَنِيُّ، وَمُصْعَبُ بنُ سَعْدٍ، وَهَمَّامُ بنُ الحَارِثِ، وَأَبُو إِسْحَاقَ السُّبَيْعِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

فِي الجِهَادِ

أَمْضَى عَدِيٌّ أَكْثَرَ أَيَّامِهِ بِالجِهَادِ، بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ بِقَلِيلٍ حَتَّى

---

(١) سيرة ابن هشام.

تَوَقَّفَ الجِهَادُ بِسَبَبِ مَا أَصَابَ الأُمَّةَ المُسْلِمَةَ أَيْ مُنْذُ السَّنَةِ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ حَتَّى السَّنَةِ الثَّلَاثِينَ، وَلَمَّا تَوَقَّفَ الفَتْحُ انْضَمَّ إلَىَ عَلِيٍّ فَقَضَى أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ مَعَهُ فِي القِتَالِ رَغْمَ أَنَّ سِنَّهُ قَد زَادَتْ عَلَى التِّسْعِينَ، وَهَذَا بَعْدَ اسْتِشْهَادِ عَلِيٍّ حَتَّى وَافَاهُ الأَجَلُ عَنْ عُمْرٍ يُقَارِبُ المِائَةَ وَعِشْرِينَ عَاماً.

١ - في حُرُوبِ الرِّدَّةِ:

انْضَمَّتْ قَبِيلَتَا عَبْس وَذُبْيَانَ إِلَى طُلَيْحَةَ بن خُوَيْلِدِ الأَسَدِيِّ، وَسَارَتَا إِلَيْهِ فِي (البُزَاخَةِ)، فَأَرْسَلَ إِلَى طَيِّءٍ بِفِرْعَيْهَا: (الغَوْثُ) وَ(جَدِيلَةُ) أَنْ يَلْحَقُوا بِهِ فَتَعَجَّلَ إِلَيْهِ أُنَاسٌ مِنَ الحَيَّيْنِ، وَأَمَرُوا قَوْمَهُمْ بِاللِّحَاقِ بِهِمْ. وَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ عَدِيَّ بنَ حَاتِمٍ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ لَهُ: أَدْرِكْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُوكَلُوا، ثُمَّ بَعَثَ الصِّدِّيقُ خَالِداً مِنْ ذِي القَصَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى طَيْءٍ فِي الأَكْنَافِ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْتَقِلُ إِلَى (البُزَاخَةِ) ثُمَّ يَتَّجِهُ إِذَا انْتَهَى مِنْ طُلَيْحَةَ إِلى (البُطَاحِ) حَيْثُ يَجْتَمِعُ بَنُو تَمِيمٍ، كَمَا أَمَرَهُ أَلَّا يَسِيرَ عَنْ قَوْمٍ إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَهُ.

سَارَ خَالِدٌ نَحْوَ الأَكْنَافِ (أَكْنَافِ سَلْمَى)[1] وَهَذَا مَا جَعَلَ

---

(١) سلمى: جبل يشرف على حائل، ويقع إلى الجنوب الشرقي منها.

طَيِّئاً تَتَأَخَّرُ عَنْ طُلَيْحَةَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ عَدِيٌّ، فَدَعَاهُمْ، فَقَالُوا: لاَ نُبَايِعُ أَبَا الفَصِيلِ أَبَداً، فَقَالَ: لَقَدْ أَتَاكُمْ قَوْمٌ لَيُبِيحُنَّ حَرِيمَكُمْ، وَلَتُكَنُّنَّهُ بِالفَحْلِ الأَكْبَرِ، فَشَأْنُكُمْ بِهِ. فَقَالُوا لَهُ: فَاسْتَقْبِلِ الجَيْشَ فَنَهْنِهْهُ عَنَّا حَتَّى نَسْتَخْرِجَ مَنْ لَحِقَ بِالبُزَاخَةِ مِنَّا، فَإِنَّا إِنْ خَالَفْنَا طُلَيْحَةَ وَهُمْ فِي يَدِهِ قَتَلَهُمْ أَوِ ارْتَهَنَهُمْ. فَاسْتَقْبَلَ عَدِيٌّ خَالِداً وَهُوَ بِالسُّنْحِ، فَقَالَ: يَا خَالِدُ، أَمْسِكْ عَنِّي ثَلاَثاً يَجْتَمِعُ لَكَ خَمْسُمِائَةِ مُقَاتِلٍ تَضْرِبُ بِهِمْ عَدُوَّكَ، وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعْجِلَهُمْ إِلَى النَّارِ، وَتَشَاغَلُ بِهِمْ، فَفَعَلَ. فَعَادَ عَدِيٌّ إِلَيْهِمْ وَقَدْ أَرْسَلُوا إِخْوَانَهُمْ، فَأَتَوْهُمْ مِنَ (بُزَاخَةَ) كَالمَدَدِ لَهُمْ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَمْ يُتْرَكُوا، فَعَادَ عَدِيٌّ بِإِسْلاَمِهِمْ إِلَى خَالِدٍ. وَارْتَحَلَ خَالِدٌ نَحْوَ (الأَنْسُرِ) يُرِيدُ (جَدِيلَةَ)، فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ: إِنَّ طَيِّئاً كَالطَّائِرِ، وَإِنَّ (جَدِيلَةَ) أَحَدُ جَنَاحَيْ طَيِّءٍ، فَأَجِّلْنِي أَيَّاماً لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْتَقِذَ (جَدِيلَةَ) كَمَا انْتَقَذَ (الغَوْثَ)، فَفَعَلَ، فَأَتَاهُمْ عَدِيٌّ فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى بَايَعُوهُ، فَجَاءَهُ بِإِسْلاَمِهِمْ، وَلَحِقَ بِالمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ أَلْفُ رَاكِبٍ، فَكَانَ خَيْرَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي أَرْضِ طَيْءٍ وَأَعْظَمُهُ عَلَيْهِمْ بَرَكَةً[1]. وَكَانَ عَدِيٌّ مَعَ خَالِدٍ فِي (بُزَاخَةَ) فِي قِتَالِ طُلَيْحَةَ وَفِي (البُطَاحِ) فِي قِتَالِ

(١) تاريخ الطبري.

بَنِي تَمِيمٍ، وَفِي اليَمَامَةِ فِي قِتَالِ بَنِي حَنِيفَةَ.

٢ً - في العِرَاقِ:

وَسَارَ عَدِيٌّ مَعَ خَالِدٍ، وَشَهِدَ مَعَهُ الفَتْحَ فِي العِرَاقِ، وَكَانَ أَحَدَ الأَبْطَالِ الَّذِينَ يُوكَلُ إِلَيْهِمُ المُهِمَّاتِ الصِّعَابِ مِثْلَ: عَاصِمِ بنِ عَمْرٍو، وَأَخِيهِ القَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍو، وَضِرَارِ بنِ الأَزْوَرِ، وَهَاشِمِ بنِ عُتْبَةَ، وَالأَقْرَعِ بنِ حَابِسٍ وَعِيَاضِ بنِ غَنْمٍ، وَجَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ وَغَيْرِهِمْ.

٣ً - في الشَّامِ:

وَسَارَ عَدِيٌّ مَعَ خَالِدٍ مِنَ العِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، وَشَهِدَ مَعَهُ اليَرْمُوكَ، وَفَتْحَ دِمَشْقَ وَكَانَ مِنْ رِجَالِهِ المَعْدُودِينَ، وَعَادَ إِلَى العِرَاقِ مَعَ مَنْ عَادَ مَعَ هَاشِمِ بنِ عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ دِمَشْقَ.

٤ً - في العِرَاقِ ثَانِيَةً:

وَسَاهَمَ مُسَاهَمَةً فَعَّالَةً فِي مَيَادِينِ القِتَالِ فِي العِرَاقِ، وَكَانَ أَحَدَ الأَبْطَالِ البَارِزِينَ.

فِي الخِلَافِ:

أَقَامَ عَدِيٌّ فِي الكُوفَةِ عِنْدَمَا ظَهَرَتِ الفِتْنَةُ، وَهَدَأَتْ حَرَكَةُ

الفَتْحِ . وَعِنْدَمَا بُويِعَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَفَ بِجَانِبِهِ رَغْمَ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُّ، وَاشْتَرَكَ مَعَهُ فِي مَعْرَكَةِ الجَمَلِ ، وَفِي مَعْرَكَةِ صِفِّينَ، وَفُقِئَتْ عَيْنُهُ يَوْمَذَاكَ، فَعَاشَ بَعْدَهَا أَعْوَرَ، كَمَا فَقَدَ وَلَدَهُ قَتِيلاً فِي تِلْكَ المَعْرَكَةِ.

وَاسْتَقَرَّ بِالكُوفَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ عَلِيٍّ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا هُوَ وَجَرِيرُ بنُ عَبْدِاللَّهِ البَجَلِيُّ، وَحَنْظَلَةُ الكَاتِبُ، وَقَالُوا: لاَ نُقِيمُ بِبَلَدٍ يُشْتَمُ فِيهِ عُثْمَانُ، وَكَانَ أَهْلُ الكُوفَةِ يَوْمَذَاكَ أَهْلَ فِتْنَةٍ، وَنَقْدٍ، وَشَتْمٍ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَافٍ لأَحَدٍ بِفَضْلٍ . وَنَزَلَ عَدِيٌّ مَعَ أَصْحَابِهِ (قَرْقِيسَاءَ)، وَلَمْ يَزَلْ فِيهَا حَتَّى وَافَاهُ الأَجَلُ عَامَ سَبْعَةٍ وَسِتِّينَ، أَيَّامَ تَسَلُّمَ المُخْتَارِ بنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ أَمْرَ العِرَاقِ. وَبِذَا يَكُونُ قَدْ عَاشَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْهَا ثَمَانِيَةٌ وَخَمْسُونَ عَاماً فِي الإِسْلاَمِ وَأَكْثَرُ مِنْهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: رَأَيْتُ عَدِيّاً رَجُلاً جَسِيماً أَعْوَرَ، يَسْجُدُ عَلَى جِدَارٍ ارْتِفَاعُهُ نَحْوَ ذِرَاعٍ .

وَجَاءَ عَدِيٌّ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: أَعْرِفُكَ، أَقَمْتَ إِذْ كَفَرُوا، وَوَفَّيْتَ إِذْ غَدَرُوا، وَأَقْبَلْتَ إِذْ أَدْبَرُوا.

وَيُكَنَّى عَدِيٌّ أَبَا طَرِيفٍ كَمَا يُقَالُ أَبَا وَهَبٍ.

وَقَالَ عَدِيٌّ: مَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ مُنْذُ أَسْلَمْــتُ إِلَّا وَأَنَا عَلَى وُضُوءٍ.